ومما يتبع هذا الفصل تألف الأعداء بما يثنيهم عن البغضة
ويعطفهم على المحبة وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف
بحسب اختلاف الأحوال فإن ذلك من شيمات الفضل وشروط السودد
فإنه ما أحد يعدم عدوا ولا يفقد حاسدا وبحسب وفور النعمة
تكثر الأعداء والحسدة كما قال

ولن تستبين الدهر موقع نعمة ٭ إذا أنت لم تدلل عليها بحاسد

فإن أغفل تألف الأعداء مع وفور النعمة وظهور الحسدة توالى
عليه من مكر حليمهم وبادرة سفيههم ما تصير به النعمة غرما
والدعة ملاما وروى ابن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس
وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه لا تستكثر أن يكون
لك ألف صديق فالألف قليل ولا تستقل أن يكون لك عدو واحد
فالواحد كثير وقد نظم ابن الرومي هذا المعنى فقال

تكثر من الإخوان ما استطعت إنهم ٭ بطون إذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا ألف خل وصاحب ٭ وإن عدوا واحدا لكثير

وقيل لعبد الملك بن مروان ما الذي أفدت في ملكك هذا
قال مودات الرجال وقال بعض الحكماء من علامات الإقبال
اصطناع الرجال وقال بعض البلغاء من استصلح عدوه ومن استفسد
صديقه نقص من عدده وقال بعض الأدباء العجب ممن يطرح
عاقلا كافيا لما يمنعه من عداوته ويصطنع عاجزا جاهلا لما

شر الأخلاء من كانت مودته ٭ مع الزمان إذا ما خاف أو رغبا
إذا وترت امرأ فاحذر عداوته ٭ من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا
إن العدو وإن أبدى مسالمة ٭ إذا رأى منك يوما فرصة وثبا

وينبغي أن يتوقى الإفراط الداعي إلى التقصير ولأن
تكون الحال بينهما نامية أولى من أن تكون متناهية وقد
روى ابن سيرين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما
وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما
وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا
بغضك تلفا وقال أبو الأسود الدؤلي

وكن معدنا للخير واصفح عن الأذى ٭ فإنك راء ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا ٭ فإنك لا تدري متى أنت نازع
وأبغض إذا أبغضت غير مباين ٭ فإنك لا تدري متى أنت راجع

وقال عدي بن زيد

لا تأمنن من مبغض قرب داره ٭ ولا من محب أن يمل فيبعدا

وإنما يلزم من قرب الإخاء بذل المجهود في النصح والتناهي في
رعاية ما بينهما من الحق فليس في ذلك إفراط وإن تناهى ولا
مجاوزة حد وإن كثر ووفى وتستوي حالتاهما في المغيب
والمشاهد ولأن يكون مغيبهما أفضل من مشهدهما أولى فإن فضل
المشهد على المغيب لؤم وفضل المغيب على المشهد كرم واستواؤهما

Copyright © King Saud University